والأوليين سائل على الحرارة العادية وأكثر زيت الزيتون منه وأكثر دهن الانسان منه ايضاً. وهذه الادهان الثلاثة مركبة من الكربون والاكسجين والهيدروجين وفي الدماغ والاعصاب والحبل الشوكي انواع أخرى من الدهن فيها نيتروجين وفصفور ولها اهمية عظيمة لعلاقتها بالقوى العقلية. ومقدار الادهان كلها التي في جسم الانسان المعتدل نحو ستة عشر في المئة من وزنه

ويأتي بعد الادهان مركبات أخرى تعرف بالمركبات الكربوهيدراتية كالسكر والنشاء وفي جسم الانسان مركبات كثيرة منها اشهرها (الغليكوجين) اي سكر الكبد (والاينوسيت) اي سكر العضلات وهي مركبة من الكربون والاكسجين والهيدروجين كالادهان ولكن على صور أخرى وكلها لا تساوي جزءاً من مئة من جسم الانسان. وهاك نسبة هذه المركبات بعضها الى بعض في جسم انسان ثقله ٢٢٢٠٠ درهم او نحو ٥٥ اقة

الماء	١٢٥٠٠
البروتايين	٣٦٩٠
دهن	٣٤٥٠
مواد كربوهيدراتية	١٥٠٠
مواد جمادية	١٢٤٥
الجملة	٢٢٢٠٠

ولا يخفى ان نسبة هذه المركبات بعضها الى بعض تختلف باختلاف الاشخاص ولكنها لا تخرج كثيراً عن هذا الحد في الانسان المعتدل الجسم وسيأتي الكلام في الجزء التالي على عناصر الاطعمة ومركباتها

ارتقاء العقل والهيئة الاجتماعية

لجناب اسكندر افندي شامين . ب . ع . سكرتير بوليس اقليم اسيوط

لم يتفق العلماء على احكام الارتقاء كلها ولا سيما على ما يتعلق منها بارتقاء البنية الحيوانية والنباتية واصل الانواع الحية ولذلك لا اتعرض لما هنا وانما ابحث في ما هو اهم منها لعموم القراء أعني به ارتقاء العقل والهيئة الاجتماعية. ولولا ضيق المقام لصدرت هذه المقالة بوصف نظام

الخليقة مبيّنًا ان هذا الكون الذي نحن فيهِ مؤلف من المادّة والقوة . وان المادة على اختلاف صورها من جامدٍ وسائلٍ وغازٍ وأثيرٍ لا تتحرّك الاّ بالقوّة . وان كل ما في الكون من العوالم كانت مادتهُ اصلاً غازًا منتشرًا في الفضاء ثم تحوّل الجانب العظيم منهُ الى كرات بعضها غازيٌّ وبعضها سائلٌ وبعضها جامدٌ . وان القوة كانت تظهر فيهِ خلال ذلك كلهِ تارةً على شكل قوة جاذبةٍ وأخرى على شكل قوّةٍ دافعة وتارة على شكل نورٍ وطورًا على شكل كهربائيّة الى غير ذلك . حتى صار الكون على ما هو عليهِ الآن من عوالم مركزيّة تدور كلها دورة عامّة حول مركز المادّة الاصليّة . وعوالم فرعيّة تدور حول العوالم المركزيّة كالارض وسائر السيارات الدائرة حول الشمس . وعوالم أُخرى تدور حول هذه العوالم الفرعيّة كالاقمار الدائرة حول السيّارات . فهذا كان ارتقاء الكون من المادّة الغازيّة الاصليّة المعروفة بالسديم الى الشموس والاراضي والاقمار

وكانت الارض في بداءة امرها مؤلفة من مركبات بسيطة . ثم كانت كلما تقادم عهد وجودها تزداد العناصر في تلك المركبات فتزداد تركيبًا عمّا كانت عليهِ حتى قضت حكمة الباري تعالى بوجود مادّة غرويّة القوام بسيطة المنظر وجعلها مقرًّا للحياة واصلاً للاحياء . وبمقتضى سنّة الارتقاء التي سنّ الباري هذا الكون عليها ما فتئت تلك المادّة البسيطة تتغيّر صورةً وشكلاً حتى صارت نباتًا وحيوانًا ثم زاد النبات والحيوان تركيبًا وارتقاءً في سلّم الخلق حتى وُجد كلُّ ما في الارض من انواع النبات والحيوان ووجد الانسان اسمى المخلوقات واعلاها شأنًا وسلطان الخليفة العالم بنواميسها والمكتشف لاسرارها . غير ان فريقًا من الناس لا يسلم بتسلسل النبات والحيوان والانسان من الاصل المشار اليهِ لعدم اجماع العلماء عليهِ ولذلك لا اتعرّض لنفيهِ ولا لاثباتهِ وانما اقول انهُ اذا ثبت هذا التسلسل كان من اعظم الادلّة على عظمة الباري سبحانهُ وسمو حكمتهِ وسداد قصدهِ في خليقتهِ اذ اجراها كلها على سنّة واحدة هي سنّة الارتقاء من الادنى الى الاسمى ومن الابسط الى الاكمل .

فكلُّ ما نراهُ في هذا الكون حاصلٌ من تأثير القوّة في المادّة واسمى ما فيهِ عقلُ الانسان الذي بهِ ازدادت معارفهُ وعلا شأنهُ فامتاز على سائر المخلوقات وساد على الموجودات . واذا تقرّر ذلك أنتقل من الكلام على ترقي الخليقة الى ترقي العقول والهيئة الاجتماعية فاقول : —

الانسان اعلى الحيوانات رتبةً ولكنهُ لا يمتاز عليها في صغرهِ فهو يغتذي من ثدي امهِ بالسليقة كما تغتذي ذوات الاربع وكما تبني الطيور اوكارها وتحل قفرانها دون ان تتعلم كيفيّة بنائها . والسليقة هي القوة التي بها يسعى الانسان او الحيوان من طبعهِ لحفظ ذاتهِ دون تروٍّ في الكيفية التي يتّبعها او تمعّن في نتيجتها . ولكنها قد تتغيّر مناسبةً لمقتضى الحال فهي في ذلك تقرب

من العقل الانساني . والعقل هو القوة الحاكمة على افعال الانسان بحيث تجعلها ناتجة عن تبصّر في الظروف والاحوال وترقٍّ في عواقب الاعمال

فالحيوان خاضع لحكم السليقة ولكن بعض انواعه لا تخلو من العقل والانسان خاضع للعقل ولكنه لا يخلو من السليقة وهو بواد عاجزًا قاصرًا خلافًا لبعض الحيوانات السفلى التي تكون من ساعة ولادتها كالكبير من نوعها في الاختبار والسعي في تحصيل رزقها. ولكنه لا يلبث الاَّ القليل حتى يمتاز عليها فتظهر فيه دلائل العقل (ولا تزول منه كل دلائل السليقة) وكلما تقدم في السن اكتسب علمًا ومعرفةً وزاد اختبارًا وتهذبت اميالهُ وارتقى عقلهُ واستقامت آراؤهُ . والناس متفاوتون في ظواهر عقولهم فالذي يتفرّغ لاكتساب المعارف وجني فوائد الاختبار والتروي في الامور يمتاز على اقرانهِ والذي يهمل ذلك يظهر عليهِ الحمق وسوء الراي . فاحسن الوسائل لتهذيب العقل وترقيتهِ الاختبار والممارسة

والهيئة الاجتماعية كلها تترقى يومًا فيومًا وشواهد ذلك ظاهرة للعيان . نعم انهُ قد يعتري بعض اعضاء هذه الهيئة الاعتلال والفساد فتظهر في درجةٍ احطَّ من درجة ما سلفها في سلم الارتقاء الادبي . ولكن انحطاط بعض اعضائها لاسباب معروفة لا يمنع من سير الباقي منها على سنن الطبيعة . فسنَّة الدهر تقتضي انهُ كلما تقادم عهد الانسانية زادت اختبارًا وارتقت درجةً عما كانت عليهِ كما يشهد بذلك تاريخ البشر

هذا ولا يخفى ان النوع الانساني ميّال الى التغير كبقية المخلوقات الحيَّة وافرادهُ تنمو وتتكاثر سريعًا حتى كانت الارض تضيق عليهم بما رحبت لولا موتهم كبارًا وصغارًا بالامراض والعلل والاوبئة والمجاعات ونحوها مما لا بدَّ منهُ ما دام الانسان موجودًا على الارض فلا تخلو بلادٌ منها حتى تصاب اخرى بها . والانتخاب الطبيعي لا يترك ضعيفًا الاَّ اهلكهُ ولذلك كان الدهر لا يبقي من ابنائهِ الاَّ القوي . وفعل الانتخاب الطبيعي هذا عام دائم ولكنهُ اشدُّ فتكًا بالضعفاء في البلدان المتوحشة منهُ في المتمدنة لان العواطف الادبية والرحمة والانسانية تخفّف قوتهُ فتنجي الضعفاء منهُ . وقد اتى ذلك بفوائد جمَّة على العالم المتمدّن لانهُ قام من الضعفاء مَن ساد على العقول وقاد الافكار وخلَّد اسمهُ في صفحات التاريخ باكتشافاتهِ واعمالهِ مثل نيوتون وداروِن الانكليزيَّين اللذين لو وجدا في بلادٍ متوحشة لاهلكهما الانتخاب الطبيعي ولم ينتفع الناس منهما شيئًا . غير ان الانتخاب الطبيعي ظافر في الكون منتصر على ابنائهِ فان غلبتهُ المعاضدة حينًا غلبها احيانًا وان منعتهُ الاحتياطات البشرية من التهام الضعفاء في مكان التهم اضعافهم في اماكن

وقد اثَّر الانتخاب الطبيعي في دماغ الانسان فحسَّنهُ ورقاهُ وميَّز الانسان عمَّا دونهُ من الحيوان

وذلك افضى الى انتصاب قامة الانسان وتحويل يديهِ الى ما هما عليهِ بحكم عقلهِ وادراكهِ على وظائف جسدهِ وقضاء اعضائهِ لتلك الوظائف . وكما امتاز النوع الانساني على الحيوانات التي دونهُ امتاز المتمدن منهُ على المتوحش جريًا على السنَّة نفسها ولهذا ترى الناس مراتب يعلو متمدنها على متوحشها كما يعلو متوحشها على القرود مثلاً والقرود على ما دونها من انواع الحيوان

واسهل الطرق التي نتوصل بها الى معرفة درجة ارتقاء النوع الانساني او الهيئة الاجتماعية هي المقابلة بين متمدني هذه الايام ومتوحشيها لان المتوحشين هم اقرب الى الفطرة الاصلية من المتمدنين فنسبة المتمدن الى المتوحش كنسبة الحيوان الداجن الى الحيوان البرّي بل ان من المتوحشين من لا يمكن فهم افكارهِ من النظر الى هيئة وجههِ او التأمُّل بحركاتهِ كما يفهم الآدميُّ العاقل مراد الحيوانات من هيئتها وحركاتها . ولذلك قيل ان المتوحشين فيهم قبائل كقبائل النوجيين اقرب الى القرد منهم الى الانسان المتمدن والظاهر ان رغبة المتمدنين في التفرُّج على المتوحشين هي من قبيل رغبتهم في التفرُّج على الضواري . فكل ذلك يدلُّ على ان الانسان كان في بداءة امرهِ ادنى حالاً مما هو عليهِ اليوم . وان الانتخاب الطبيعي فعل فيهِ فميَّز افرادهُ بعضها عن بعض ورقَّاهُ عن حالهِ الاولى تدريجًا وسيرقّيهِ الى ما شاء الله طبقًا لسنة الارتقاء الطبيعية .

ولا شك ان الانسان الاول كان ادنى من متوحشي هذه الايام . وقد ظهر من الابحاث الاخيرة انهُ أتمَّ امتيازهُ على سائر الحيوانات بفعل الانتخاب الطبيعي قبل ان هاجر من موطنهِ الاصلي . ويستدلُّ من الآثار الجيولوجية ان الانسان الاول كان في العصر الحجري قبيح المنظر بالنسبة الى انسان هذه الأيام قصير القامة احدب الظهر قوي الحواس شديد الحس وذلك لانهُ كان دائمًا يستعمل حواسهُ خوفًا من الطواري (ومثل ذلك كثير في ايامنا فعيون المتوحشين اسلم وأصح في الغالب من عيون المتمدنين لان المتمدنين يستغنون عن اجهاد نظرهم لحفظ ذواتهم بالعلم والحيلة) قوي السليقة كثير التقلُّب في افكارهِ لا يهمُّهُ همٌّ ولا يقلقهُ غم . لا يستفيد من امسهِ ولا يهتمُّ للغد . يندهش لاقل شيء ويخاف على حياتهِ من اقل حادث . يعيش يومهُ على ما يلتقطهُ من اثمار الطبيعة ولا يتعب بغرس اشجارها ولا باري اراضها . اذا جاع اكل واذا عطش شرب . واذا خاف من الضواري شرًّا عمد الى الاشجار فقطع منها اغصانًا يردُّ بها عن نفسهِ هجماتها والتجأ الى الغابات والكهوف اذا لم يرَ الى الدفاع سبيلاً آخر . وفي آخر امرهِ (اي في العصر الحجري) عرف طريقة ابقاد النار واستعمالها كما يظهر من بعض الآثار التي وُجدت مع بقاياهُ وذلك اول دلائل الحضارة في النوع الانساني . وكانت معارفهُ قليلة لا تذكر ومصنوعاتهُ لا تجاوز العصا والحجر المحدَّد

ولما كان الانسان بالطبع اضعف بنية من اكثر الوحوش التي تخاف شرها عمد الى المعاضدة والاتحاد لمقاومة اعدائه فابتدأ الاجتماع الانساني حينئذٍ وما زال هذا الاجتماع يزداد ويترقى حتى بلغ الهيئة المعروفة بالهيئة الاجتماعية والآثار الباقية تدل على ان الانسان الاول الذي عاصر الموت واسد الكهف من الضواري كان ادنى من ادنى المتوحشين في ايامنا وانهُ مرَّ عليهِ قرون واحقاب متطاولة قبل ان بلغ الحالة التي صار فيها يحرث الارض ويستخرج المعادن ويصطنع منها الادوات

ثم ان تقدُّم الانسان كان قديمًا وحديثًا مقصورًا على جماعةٍ من افرادهِ محدودًا في اماكن معينة من اماكنهِ حتى ان الامَّة المصريَّة التي سبقت غيرها في درجات الارتقاء وعدَّت متمدنة منذ قديم الزمان لم تظهر آثار تمدنها الاَّ من خمسة آلاف سنة او اقل على مذهب ادق الباحثين وهي مدة قصيرة جدًّا بالنسبة الى قِدم الانسان على الارض. اما ارتقاء الهيئة الاجتماعية فكان بطيئًا جدًّا في اوائل وجود الانسان وسريعًا في هذه الايام المتأخرة . وانحصر التمدن قديمًا وحديثًا في اقسام من الكرة ولم يتجاوزها الى غيرها الاَّ منذ عهد قريب وذلك لما ابتدأت الامم المتمدنة تنشىء المهاجر وترسل اليها السكَّان من بلادها التي ضاقت باهلها فاتسعت دائرة التمدن عن ذي قبل ولكنها لم تعمَّ المسكونة كلها والمظنون انها لا تعمها في مستقبل الزمان ولم يزل من الامم الكبيرة امم واقفة عند حدٍّ معلوم من الارتقاء وصلت اليهِ منذ عهدٍ بعيد وهي لا تعدَّاهُ إمَّا رضوخًا لحكم العادة واتباعًا لتقاليد السَّلف او خوفًا من سوء عاقبة الانتقال من حالٍ الى ارقى منها . والقبائل المنحطَّة من البشر باقية على ما كانت عليهِ من عهد قديم جدًّا فهي كانواع النبات والحيوان الدنيا التي لم يظهر فيها تغيُّر ولا ارتقاء . ولذلك باد اكثرها من وجه الامم المتمدنة وانقرض والبعض باقٍ على وشك الانقراض الاَّ الذي قوي منها على معاندة المتمدن او اقتبس تمدنهُ . وبعبارةٍ أخرى ان القوي ساد على الضعيف بحكم الانتخاب الطبيعي وسنَّة الارتقاء . ومع ذلك فالمتمدنون والمتوحشون خاضعون لحكم الطبيعة والظروف خضوع غيرهم من الموجودات لها فلم يتجاوزوا المنطقة المعتدلة الاَّ قليلاً لان حر اواسط الارض وبرد قطبيها لا يلائمانهم ولذلك ظلَّ التمدن محصورًا في بعض اقسام الكرة دون غيرها

فنرى مما تقدَّم ان الهيئة الاجتماعية كانت قاصرة في بادئ امرها على تعاون بعض افرادها لدفع الضرر عنهم ولم يكن هذا التعاون يتجاوز افراد العائلة الواحدة في اكثر الاحيان . ومما ساق الانسان الى الاجتماع والائتلاف المسابقة والمزاحمة بين افرادهِ وقد ارتقى الانسان فيهما كثيرًا حتى صارت الحرب فنًّا يدرَّس في المدارس العالية وانتظمت الجيوش وأُتقنت آلات

القتال . ووقعت المناظرة الآن في كل الاعمال فترى الامّة الواحدة تبذل جهدها في مجاراة غيرها والفوز عليها في متاجرها وصنائعها ونظامها وسياستها . ولا يبعد ان مناظرة الناس في المستقبل تنحصر على اتقان الحيل والتدابير التي تتوصل بها الامّة الى اذلال عدوّتها واماتتها جوعًا بالتضييق على تجارتها وقطع اسباب الربح عنها بدلاً من اماتة رجالها واذلالها بالسيف والنار . وفي كل ذلك يكون الجهاد واحدًا ويكون الرابح فيه اقوى عقلاً وجسدًا

ومما شدّد عرى الاتفاق والالفة بين افراد النوع الانساني واكسبهم الفوز في جهاد الحياة ارتباطهم بالقرابة والنَّسَب فانهُ أشد من ارتباط الحيوانات بعضها ببعض وقد كان الباعث عليهِ طول مدة الطفولية التي يكون الانسان فيها ضعيفًا عاجزًا فانها اطول من المدّة التي تبقى الحيوانات العجم عاجزة فيها بعد ولادتها ولذلك بطول اعتماد الصغير من البشر على الكبير واهتمام الكبير بحفظ حياة الصغير . فالقرابة أشد رابط الناس بالالفة والمحبّة واصل ما في قلوبهم من الشفقة والرحمة وغيرها من العواطف الشريفة وهي التي تنهض همّة الانسان للسعي وتدلّهُ على طرق الاكتشاف والاختراع وتلجئهُ الى العمل والاصطناع لوقاية الصغير وبالتالي لنفع الكبير وفائدة الهيئة الاجتماعية . وعلى ذلك فالهيئة الاجتماعية ابتدأت في العائلة وامتدت منها الى القبيلة اي مجموع العيال ومنها الى سكان المدينة الواحدة ومنها الى الامّة اي سكان مدن البلاد الواحدة فصار الناس على ما نراهم عليهِ

ولما كان اعداء الانسان كثيرين ومدافعتهُ عن نفسهِ شديدة كان الضعيف من افراد النوع الانساني يتأخّر في ميدان السباق والقويُّ الشجاع يتقدّم فيقود بقية افراد قبيلتهِ ويسود عليهم ومن ذلك نشأت الرئاسة والسلطة على اختلاف مراتبها واشكالها . ولما كان الخصام بين الناس امرًا لا بدَّ من وقوعهِ وكانت مشاكلهم لا تُحَلُّ الاَّ باستشارة العقلاء منهم والاذعان لرأيهم وقولهم حدث ان آراء الحكماء صارت تُعتبَر وتُتَّبع فكانت اصلاً لما شاع بين البشر من الشرائع والاحكام ثم ارتقت رويدًا رويدًا كما ارتقت ايضًا السلطة والرئاسة حتى بلغت الرتبة الرفيعة التي هي عليها الآن

*

هذه كانت صورة ارتقاء الهيئة الاجتماعية من الحالة الفطرية ذكرتها هنا بوجه الاختصار ويستدلُّ منها بقياس التمثيل انها ستبقى سائرةً في هذا السبيل فتعلو شأنًا وتزداد كمالاً الى ما شاء الله